ISSN:2583-2379
المجلد الخامس - العدد الأول مجلة البخاري للعربية والدراسات الإسلامية يناير – يونيو 2025

اللغويات الحديثة وتفسير القرآن الكريم: الآية الأولى من سورة النحل أنموذجاً

Dr. Rashid Ali Al-Balushi

Associate Professor of Linguistics,
Department of English and Translation,
College of Arts and Social Sciences,
Sultan Qaboos University, Oman,
Email Id: rash5222@squ.edu.om

الدكتور راشد علي البلوشي

أستاذ اللغويات المشارك،
بجامعة السلطان قابوس،
عمان.

Abstract:

This study presents a linguistic analysis for (Q. 16:1), followed by a new interpretation. This analysis is based on some modern linguistics principles, which are Binding Principle B, which is the principle responsible for the interpretation of personal pronouns in the modern linguistic theory, the Subcategorization Principle, which is responsible for the nature of complements and their structure, and also on the nature of the structure of the Arabic construct state. This analysis is thus based on a new approach to the syntactic relations between the sentences that make up this verse, and on the structure of construct state expressions, as well as on the nature of the complements/objects of the verb *yastaʕjil*. The study shows that the relevant pronoun must be interpreted to refer to one of the nouns that the available exegesis books claim it does, and may not refer to the other noun. This proposal is supported with evidence from other Qur'anic verses. The study also aims to show that modern linguistic theories are able to support some of the available interpretations and refute others.

Keywords:

Interpretation of the Holy Qur'an; Linguistic analysis; Interpretation of pronouns; Binding Principle B, complements, construct state.

المُلخّص

تقدم هذه الدراسة تحليلاً لغوياً للآية الأولى من سورة النحل، يتبعه تفسيرٌ جديد. يستند هذا التحليل إلى بعض من مبادئ اللغويات الحديثة، وهي مبدأ الربط "ب"، وهو المبدأ المسؤول عن تأويل الضمائر الشخصية في النظرية النحوية الحديثة، ومبدأ التفريع المقولي، وهو المبدأ المسؤول عن طبيعة التكملات النحوية وتركيبها، وكذلك إلى طبيعة تركيب الإضافة في اللغة العربية. ويستند هذا التحليل إلى مقاربة جديدة فيما يخص طبيعة العلاقات النحوية بين الجمل المكوِّنة لهذه الآية الكريمة، وإلى بُنية 'تركيب الإضافة'، بالإضافة إلى طبيعة التكملات النحوية (أو المفعولات) التي ينتقيها الفعل 'يستعجل' وكذلك إلى تركيبها النحوي. وبناء عليه، فإن البحث يوضح أن الضمير موضوع البحث يجب أن يعود على أحد الاسمين الذيْن تقول بهما التفسيرات الموجودة، ولا يمكن أن يعود على الاسم الآخر. تدعم الدراسة التفسير المفضل بأدلة من آيات قرآنية أخرى. تهدف الدراسة أيضاً إلى إظهار قدرة النظريات اللغوية الحديثة على تأييد بعض التفسيرات الموجودة ودحض بعضها الآخر.

الكلمات المفتاحية:

تفسير القرآن الكريم، التحليل اللغوي، تأويل الضمائر، مبدأ الربط "ب"، التكملات النحوية، تركيب الإضافة.

1. المقدمة

أنزل الحق تبارك وتعالى القرآن الكريم باللغة العربية الفصحى، أو بالأحرى "بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين" [الشعراء: 195]، ولذلك فإنه لابد من المعرفة باللغة العربية والتبحر في علومها، على جميع المستويات (أي مستويات الصوت والحرف والكلمة والعبارة والجملة والتعبير والمعنى والسياق) إذا أردنا أن نستجلي أسرار هذا الكتاب وكوامنه من الأحكام والتعاليم والعلوم والمواعظ والقصص والأمثال. ولذلك قام العرب بدراسة علوم اللغة العربية على المستويات كافة، وطوروا علومها نحواً وصرفاً واشتقاقاً ومعانٍ وبلاغة وبياناً وغير ذلك، وهو ما مكّنهم من إنتاج الكثير من التفاسير والأفهام لآيات القرآن الكريم ومقاصده، على أساس مقاربات مختلفة. ولذلك فإنّ لعلوم اللغة وما يتوصل إليه العقل البشري من أطر نظرية وبرامج بحثية في علوم اللغويات أثر كبير على ما يمكن فهمه أو استنباطه من مقاصد الحق تبارك وتعالى من آيات القرآن الكريم وجمله. ولذلك فإن هذه الدراسة ستعمَد إلى تطبيق بعضٍ من مبادئ اللغويات الحديثة، وذلك للتدليل على قدرتها على إيجاد تفسيرات جديدة لآيات القرآن الكريم، وذلك لأن علوم اللغويات النظرية الحديثة تُمكِّن الباحثين من إيجاد تحليلات جديدة للآيات الكريمة والجمل والعبارات والكلمات التي تكونها، وبذلك فهي تمكننا من إعراب هذه الجمل بطريقة جديدة وكذلك ممكنة لغوياً. ولذلك فإنه يمكننا اعتبار علوم اللغويات الحديثة، على اختلاف مناهجها ومشاربها، أدواتاً أوجدت لكي تعيننا على إيجاد شيء جديد في كتاب الله، فهي كالوسائل الجديدة للتعامل مع النص القرآني، يمكن أن تأتي بالجديد من الأفهام، ويمكن أن يكون هذا الفهم الجديد مقبولاً لا يتعارض مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويمكن كذلك أن يتعارض معهما، ولذلك فإنه يجب في هذه الحالة رده ومعارضته. ولكن هذا لا يعذرنا من محاولة التوصل إلى تفسيرات جديدة للنص القرآني من خلال تطبيق المبادئ اللغوية الحديثة عليه.

ولذلك فإن تحليل هذه الآية لغوياً وتفسير العلاقات التأويلية والنحوية فيها سيستند إلى المبادئ التالية. المبدأ الأول هو مبدأ الربط "ب" (Binding Principle B) وهو المبدأ المسؤول عن تأويل الضمائر الشخصية (personal pronouns) في نظرية الربط (Binding Theory)، وهي إحدى نظريات علم اللغة التوليدي (Generative Linguistics) (Chomsky, 1981; Ouhalla, 1999). ويقول مبدأ الربط "ب"، باختصار، إن الضمير يمكن أن يُربَط (أي أن يُؤوَّلَ حَصْراً) باسم في جملة سابقة إذا كانت هذه الجملة جملة رئيسية (main clause) وكان الضمير في الجملة التابعة (subordinate clause) لها. ويُقصد بالربط بين الضمير واسم ما "أن يكون الضمير عائداً بالضرورة على ذلك

الاسم دون سواه". ويتعطل مبدأ الربط "ب" إذا كان الاسم والضمير في جملتين منفصلتين أو معطوفتين، وذلك لعدم تحقق شرط "التحكم" (c-command). وفي هذه الحالة، فإنه لا يمكن لأي اسم بعينه في الجملة السابقة أن "يربط" ضميراً في الجملة اللاحقة، ولذلك فإنه يمكن لذلك الضمير أن يعود على أي اسم في الجملة السابقة إذا تحقق شرط "التقارن" (co-indexation)، أي إذا كان ذلك الاسم يتفق مع الضمير في سمات المطابقة (agreement)، أي في سمات العدد (إفراداً أو تثنيةً أو جمعاً) والنوع (تذكيراً أو تأنيثاً) والشخص (متكلماً أو مخاطباً أو غائباً). المبدأ الثاني هو مبدأ التفريع المقولي (Subcategorization Principle)، وهو المبدأ الذي يختص بالعلاقة بين الرأس النحوي (Head)، كالفعل مثلاً، وتكملاته النحوية (complements) أو المفعولات التي ينتقيها وكذلك طبيعة تركيبها (Chomsky, 1981; Ouhalla, 1999). والمبدأ الثالث يتعلق بتركيب الإضافة في اللغة العربية وحقيقة أن الاسم الأول فيه هو الاسم الرأس الذي يدخل في علاقات نحوية مع غيره من مكونات الجملة (Shlonsky, 2003). القسم الثاني يناقش تفسيرات الآية الأولى من سورة النحل، والقسم الثالث يختم الورقة.

2. الآيةُ الأولى من سورة النحل

يقول الحق تبارك وتعالى، "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" [النحل: 1]. تقول معظم التفاسير الموجودة إن "أمر الله" هو إما يوم القيامة أو عقاب الله أو عذابه للمشركين أو قضاء الله وحكمه بنصر المؤمنين وهزيمة الكافرين، ولا نختلف مع هذه التفاسير في ذلك. وتقول معظم التفاسير التي علّقت على الضمير المتصل 'هُ' في "تَسْتَعْجِلُوهُ" إنه يعود إما على عبارة "أَمْرُ اللَّهِ" وإما على لفظ الجلالة "اللَّه"، ولكننا نختلف معهم في ذلك. سنورد أولاً ما قال به بعض المفسرين الأجلاء، ومن ثَم سنعرض الطرح الجديد، مشفوعاً بالأدلة اللازمة.

يقول ابن كثير في شأن الضمير في "تَسْتَعْجِلُوهُ"، "يحتمل أن يعود الضمير على الله، ويحتمل أن يعود على العذاب، وكلاهما متلازم" (ابن كثير، 1999، المجلد الرابع، ص. 555). أما طنطاوي فيقول، "والضمير المنصوب في "تستعجلوه" يعود على أمر الله، لأنه هو المتحدث عنه، أو على الله - تعالى-، فلا تستعجلوا الله فيما قضاه وقدره" (طنطاوي، 1984، المجلد الرابع عشر، ص. 15). ويقول الشنقيطي، "والضمير في قوله "فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ" في مفسره وجهان: أحدهما: أنه العذاب الموعد به يوم القيامة، المفهوم من قوله (أَتَى أَمْرُ الله). والثاني: أنه يعود إلى الله، أي: لا تطلبوا من الله أن يعجل لكم العذاب" (الشنقيطي،

2005، المجلد الثالث، ص. 254). ويقول ابن عاشور، "فضمير "تستعجلوه" إما عائد إلى الله تعالى، أي فلا تستعجلوا الله. وحذف المتعلق بـ "تستعجلوه" لدلالة قوله "أتى أمر الله" عليه. والتقدير: فلا تستعجلوا الله بأمره، على نحو قوله تعالى "سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ" سورة الأنبياء 37. وقيل الضمير عائد إلى "أمر الله"، وعليه تكون تعدية فعل الاستعجال إليه على نزع الخافض" (ابن عاشور، 1984، المجلد الرابع عشر، ص. 97). ويقول الألوسي، "والضمير المنصوب في "تَسْتَعْجِلُوهُ" على ما هو الظاهر عائد على الأمر لأنه هو المحدث عنه، وقيل: يعود على الله سبحانه أي فلا تستعجلوا الله تعالى بالعذاب أو بإتيان يوم القيامة كقوله تعالى: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ" [الحج: 47] (الألوسي، 1934، المجلد الرابع عشر، ص. 90)". ولم يحدد معظم المفسرين الآخرين على من يعود الضمير في "تَسْتَعْجِلُوهُ" (الطبري، 1994، المجلد الرابع، ص. 499. البغوي، 1989، المجلد الخامس، ص. 7-8. السعدي، 2002، ص. 505. القرطبي، 2006، المجلد الثاني عشر، ص. 266-268. السمرقندي، 1993، المجلد الثاني، ص. 227. الرازي، 1981، المجلد التاسع عشر، ص. 222-226. الأندلسي، 2001، المجلد الثالث، ص. 377-378. الخازن، 2004، المجلد الثالث، ص. 66. النيسابوري، 1996، المجلد الرابع، ص. 240-241. ابن عادل، 1998، المجلد الثاني عشر، ص. 3-5).

وبحسب آلية عمل مبدأ الربط "ب"، فإن علاقة "الربط" (binding) بين الضمير 'هُ' في "تَسْتَعْجِلُوهُ" في الجملة الثانية والاسم 'أمر' في الجملة الأولى غير ممكنة، وذلك لتعذر إقامة علاقة "التحكم" (c-command)، وذلك لأن الجملتين مستقلتان، كما هو مبين في (1)، ذلك أن الجملة الثانية، "فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ"، معطوفة بالفاء على الجملة الأولى، "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ"، وليست تابعة لها. ولنفس السبب، فإنه لا يمكن للفظ الجلالة "الله" أن يربط الضمير 'هُ' في "تَسْتَعْجِلُوهُ"، أي أنه لا يمكن للضمير أن يكون عائداً على لفظ الجلالة حصراً.

1. "[أَتَى أَمْرُ اللَّهِ] [فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ] [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ]" [النحل: 1].

ولكنّ غياب علاقة "الربط" يفتح المجال لعلاقة "المرجعية المشتركة" (co-reference)، والتي تؤدي إلى إمكانية أن يعود الضمير المتصل في "تَسْتَعْجِلُوهُ" على أي من الاسمين في الجملة الأولى، 'أمر' أو 'الله'، وذلك لتشابه سمات المطابقة بين الضمير وكلا الاسمين، فالضمير والاسمان بصيغة المفرد المذكر الغائب، وهو ما ذهب إليه كثيرٌ من مفسرينا الأجلاء.

أيضاً، وبحسب طبيعة تركيب الإضافة (construct state)، فإن الاسم 'أمر' هو الاسم الرأس "head noun" للاسم المركب "أَمْرُ اللَّهِ" (ولفظ الجلالة 'الله' هو التكملة النحوية، أي complement، للاسم الرأس)، ولذلك فإن الضمير 'هُ' في "تَسْتَعْجِلُوهُ" يجب أن يعود على الاسم "أَمْرُ"، وذلك لأن المركب الاسمي "أمر الله"، وهو شبه الجملة من مضاف ومضاف إليه، يشير إلى 'الأمر' ولا يشير إلى لفظ الجلالة 'الله'، فالاسم 'أمر' هو الاسم الرأس في تركيب الإضافة. فمثلاً مدلول شبه الجملة 'معلمُ الرياضياتِ' هو الاسم 'معلم' وليس الاسم 'الرياضيات' ذلك أن تعبير 'معلم الرياضيات' يقتضي الإشارة إلى معلمٍ وليس إلى مجال الرياضيات. وكذلك مدلول عبارة 'صوم رمضان' هو 'صومٌ' وليس 'شهر رمضان'. فالمضاف هو الاسم الرئيسي في تركيب الإضافة، والدليل على ذلك هو أنه يُعرَب بحسب موقعه في الجملة، أما المضاف إليه فإنه يكون دائماً مجروراً بالإضافة، ذلك أنه 'مُتَضَمَّنٌ' داخل تركيب الإضافة.

ولكن، وبخلاف ما تقتضيه آلية عمل مبدأ الربط "ب" وكذلك طبيعة تركيب الإضافة، فإن هناك من الأدلة ما يشير إلى أن الضمير المتصل، 'هُ'، في الفعل "تَسْتَعْجِلُوهُ" يجب أن يعود على لفظ الجلالة "الله"، ولا يجب أن يعود على شبه الجملة "أَمْرُ اللَّهِ" أو على الاسم "أَمْرُ"، وذلك بالاستناد إلى طبيعة التكملات النحوية التي ينتقيها الفعل 'استعجل' وتركيبها، ذلك أن الفعل 'استعجل' ينتقي مفعولين، الأول مفعول به 'اسمٌ يشير إلى عاقل' والثاني 'اسمٌ يشير إلى حدثٍ مُتضمَنٌ في شبه جملة من جار ومجرور، الجارُّ فيها هو حرف الجر الباء'، كما في المثال 'استعجل المعلمُ الطالبَ بالقراءةِ'. وبالبحث عن أمثلة هذا الفعل في القرآن الكريم، للتحقق من طبيعة تكملاته النحوية (complements)، أو مفعولاته، نجد أنه ورد في 19 آية كريمة.

فقد ورد الفعل 'استعجل' يتبعه المفعول به الأول، وهو الاسم الذي يشير إلى العاقل، وكذلك شبه الجملة من جار ومجرور، وهي التي تتضمّن المفعول به الثاني الذي يدل على الحدث (event nominal)، في 4 آيات، إحداها الآية (54) من سورة العنكبوت، في (2). والمفعول به الأول هو ضمير المخاطب المفرد، 'ك' في "يَسْتَعْجِلُونَكَ"، الذي يشير إلى الرسول الكريم، عليه الصلاة والسلام، وأما المفعول به الثاني المتضمن في شبه الجملة فهو الاسم "الْعَذَابِ".[1]

2. "يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ" [العنكبوت: 54].

[1] الآيات الثلاث الأخرى هي (6) من سورة الرعد و(47) من سورة الحج و(53) من سورة العنكبوت.

وورد الفعل 'استعجل' تتبعه شبه الجملة من جار ومجرور، وهي التي تتضمن المفعول به الثاني الذي يدل على الحدث، في 5 آيات، إحداها الآية (58) من سورة الأنعام، في (3).[1] وورد الفعل 'استعجل' تسبقه شبه الجملة من جار ومجرور (بالباء) في 4 آيات، إحداها الآية (176) من سورة الصافات، في (4).[2] والمفعول به الثاني المتضمن في شبه الجملة في هاتين الآيتين هو 'العذاب'، وهو اسم الحدث (event nominal)، وأما المفعول به الأول، الذي يشير إلى عاقل، فلم يُذكر صراحة، ولكن يمكن فهمه على أنه يشير إلى الله تعالى أو إلى الرسول الكريم (ص).

3. **"قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ" [الأنعام: 58].**

4. **"أَفَبِعَذَابِنَا يَستَعجِلُونَ" [الصافات: 176].**

وقد ورد الفعل 'استعجل' غير متبوع ولا مسبوق بشبه الجملة التي جارُّها الباء في آيتين كريمتين. الأولى هي (59) من سورة الذاريات، في (5). ويبدو لنا أن المفعولين، الاسم الدال على العاقل والاسم الدالّ على الحدث، قد حذفا من هذه الآية لدلالة السياق عليهما، وذلك لأن الآيات من (24) إلى (46) من سورة الذاريات تتحدث عن العذاب الذي لحق بقوم لوط وقوم موسى وقوم عاد وقوم ثمود وقوم نوح عليهم السلام، ثم انتقلت الآيات إلى خطاب قوم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، في الآيات (50-51)، في (6)، مؤكدة على أن دور النبي الكريم (ص) هو الإنذار، بتكراره في الآيتين الكريمتين. وتُبع ذلك بالتحذير أنهم إذا طغوا واتهموا الرسل بالسحر والجنون، كما تقول الآيتان (52-53)، في (7)، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام ليس ملوماً على أفعالهم وإنما عليه التذكير، كما تقول الآيتان (54-55)، في (8). وتُبع ذلك بالقول إن واجب الجن والإنس هو العبادة وإن الله متكفل برزقهم، في الآيات (56-58)، في (9)، ولكنهم إذا ظلموا فإنهم يجب أن يتوقعوا عذاباً كالذي حل بالأمم التي سبقتهم من دون أن يستعجلوا الله تعالى أو الرسول (ص) به، فالعذاب آتيهم، وهو ما تنص عليه الآية (59) وتؤكده الآية (60) من سورة الذاريات، في (10). أي فلا يستعجلون بالذَنوب، و 'الذَنوب' هي "النصيب من العذاب" (ابن كثير، 1999، المجلد السابع، ص. 426).

[1] الآيات الأربع الأخرى هي (57) من سورة الأنعام و(46) من سورة النمل و(18) من سورة الشورى و(24) من سورة الأحقاف.

[2] الآيات الثلاث الأخرى هي (51) من سورة يونس و(204) من سورة الشعراء و(14) من سورة الذاريات.

5. "فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (59)" [الذاريات: 59].

6. "فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (50) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (51)" [الذاريات: 50-51].

7. "كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (52) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (53)" [الذاريات: 52-53].

8. "فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (54) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (55)" [الذاريات: 54-55].

9. "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)" [الذاريات: 56-58].

10. "فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (59) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (60)" [الذاريات: 59-60].

والقول نفسه ينطبق على الآية الأخرى، وهي (37) من سورة الأنبياء، في (11)، أي فلا تستعجلوا الله بآياته في محاسبة الكافرين، أو فلا تستعجلوه 'بالحساب' الذي ذُكر في الآية الأولى من نفس السورة، في (12)، ذلك أن المشركين استعجلوا الرسول الكريم (ص) بالحساب، وتحدوه أن يسأل الله أن ينزله بهم إذا كان صادقاً. هذا ووردت كلمات كثيرة تتعلق بمفهوم الحساب والعقاب من بداية السورة وحتى الآية (37)، وهي "حِسَابُهُمْ" و "أَهْلَكْنَاهَا" و "أَهْلَكْنَا" و "قَصَمْنَا" و "بَأْسَنَا" و "حَصِيدًا خَامِدِينَ" و "الْوَيْلُ" و "نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ". "وقال الضحاك: معنى "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ" أي عذابهم، يعني أهل مكة؛ لأنهم استبطئوا ما وعدوا به من العذاب تكذيباً، وكان قتلهم يوم بدر" (القرطبي، 2006، المجلد الرابع عشر، ص. 171). وبذلك، فإن المفعول به الثاني، وهو الاسم الدالّ على الحدث، قد دل عليه السياق في الآيتين الكريمتين، (59) من سورة الذاريات و(37) من سورة الأنبياء.

11. "خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ" [الأنبياء: 37].

12. "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ" [الأنبياء: 1].

وهناك ملمح لغوي في الآية (37) من سورة الأنبياء يمكن أن يدل على وجود المفعول به الأول، وهو الاسم الذي يشير إلى العاقل أو ما يقوم مقامه من ضمائر. فالفعل "تَستَعجِلُونِ" قد ورد بصيغة المخاطب، وفيه رأيان. الأول أنه بصيغة الرفع (لوجود النون في آخره)، كما هو الحال بالنسبة للفعل "تَعلَمُونَ" في الآية (74) من سورة النحل، في (13)، والمراد 'سأُريكم آياتي لكيلا تستعجلونَ بها'. وعلى هذا القول، فإن الفعل مسبوق ب 'لا النافية'.

13. **"فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" [النحل: 74].**

والرأي الثاني هو أن "تَستَعجِلُونِ" ورد بصيغة الأمر، ولأن الأمر مجزوم، أي 'لا تستعجلوا'، فإن النون هي ضمير المتكلم المفرد (وهو المفعول به العاقل)، أي 'ني' في 'تستعجلوني'، وقد حذفت الياء منها واستُبدلت بالكسرة لأنها في نهاية الآية الكريمة. وعلى هذا القول، فإن الفعل مسبوق ب 'لا الناهية'. وإذا صح هذا القول الثاني، فإن الفعل "تَستَعجِلُونِ" في هذه الآية الكريمة قد ورد متبوعاً بأحد مفعوليه، وهو الاسم الذي يشير إلى العاقل، وهو رب العزة والجلال.

وهناك من الأدلة ما يشير إلى أنّ هذه النون، في آخر "تَستَعجِلُونِ"، في الآية (37) من سورة الأنبياء هي ضمير المتكلم المفرد. فالبحث في القرآن الكريم يدل على أن نون الفعل في صيغة الرفع تكون مفتوحة، كما في الآية (17) من سورة النحل، في (14)، وكذلك الآية (48) من سورة الإسراء، في (15).

14. **"أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" [النحل: 17].**

15. **"انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا" [الإسراء: 48].**

وأما النون في ضمير المتكلم المفرد فإنها تُتبع بالياء في صيغة الأمر (أو النهي) في حالة واحدة فقط، وهي عندما لا تكون في نهاية الآية، كما هو الحال في الآية (22) من سورة إبراهيم، في (16)، وكذلك في الآية (31) من سورة النمل، في (17).

16. **"فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم" [إبراهيم: 22].**

17. **"أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ" [النمل: 31].**

وأما إذا كانت النون في نهاية الآية، فإنها لا تتبعها الياء، ولكنها تكون مكسورة فقط، كما في الآية (68) من سورة الحجر، في (18)، حيث يطلب سيدنا لوط عليه السلام من قومه ألا يفضحوه في ضيفه، وكذلك في الآية (60) من سورة يوسف، في

(19)، حيث يطلب سيدنا يوسف عليه السلام من إخوته ألا يقربوه إن لم يرافقهم شقيقه بنيامين. هذا، ولم يرد ضمير المتكلم المفرد في حالة النصب بصيغة 'ني' في نهاية أي آية في القرآن الكريم.

18. "قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ" [الحجر: 68].

19. "فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ" [يوسف: 60].

والقول نفسه يصح بشأن الفعل "يَستَعجِلُونِ" في الآية (59) من سورة الذاريات، في (5)، معادةً في (20)، وذلك لأن الفعل "يَسْتَعْجِلُونِ" مسبوق ب 'لا الناهية'، وليس 'لا النافية'، لأن في الآية أمرٌ بعدم الاستعجال، وقد ورد الفعل بصيغة "يَسْتَعْجِلُونِ"، ولم يرد بصيغة "تَسْتَعْجِلُونِ" لأنه أمر للغائب وليس للمُخاطَب. ومثال ذلك الفعل "يَبْخَسْ" في الآية (282) من سورة البقرة، في (21)، حيث ورد مجزوماً، وهو حال صيغة الأمر، ولكنه للغائب. يقول السعدي في شأن الفعل "يَبْخَسْ"، موضحاً أنه بصيغة الأمر، "أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه ولا يبخس منه شيئاً"، ويقول القرطبي كذلك "وأمرَه [أي الذي عليه الحق] تعالى بالتقوى فيما يُمِلُّ، ونهى عن أنْ يبخَسَ شيئاً من الحقّ" (السعدي، 2002، ص. 121. القرطبي، 2006، المجلد الرابع، ص. 434). وإذا صح هذا التحليل، فإن الآيتين (59) من سورة الذاريات و(37) من سورة الأنبياء تحتويان على المفعول به الأول، الذي يشير إلى العاقل.

20. "فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ" [الذاريات: 59].

21. "وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا" [البقرة: 282].

وقد ورد الفعل 'استعجل' متبوعاً بشبه الجملة "لَّهُمْ" في الآية (35) من سورة الأحقاف، في (22). وشبه الجملة "لَّهُمْ" تقوم مقام ما يشبه النعت أو الحال (adjunct/modifier) هنا، ذلك أنها ليست من التكملات النحوية (complements) أو المفعولات للفعل 'استعجل'. وقد حُذف المفعول به الأول، وهو الاسم الدالّ على العاقل، وهو رب العزة والجلال، لدلالة السياق عليه، وكذلك حذف المفعول به الثاني، وهو 'العذاب'، المتضمن في شبه الجملة، لأنه ذُكر في الآية السابقة من نفس السورة الكريمة، في (23)، أي 'ولا تستعجل بالعذاب لهم'.

22. "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ" [الأحقاف: 35].

23. "وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ" [الأحقاف: 34].

وكذلك ورد الفعل 'استعجل' متبوعاً بشبه الجملة "مِنْهُ" في الآية (50) من سورة يونس، في(24)، وقد حُذف المفعولان لدلالة السياق عليهما، رغم أن المفعول به الثاني ورد ما يشير إليه، وهو الضمير في "مِنهُ"، أي 'من العذاب'، وهناك مَن يقول إن الضمير في "مِنْهُ" يعود على المفعول به الأول، وهو الله تعالى، كما عند القرطبي (القرطبي، 2006، المجلد الحادي عشر، ص. 6). ولو قلنا إن الضمير في "مِنْهُ" يعود على الله تعالى، فقد حُذفت شبه الجملة من جار ومجرور لدلالة السياق عليها، ذلك أن 'العذاب' قد ذُكر في الجملة السابقة في نفس الآية الكريمة، موضحة في (24). ولو عاد الضمير في "مِنْهُ" على 'العذاب'، فإن ذلك يكفي لأن يجعل دخولَ الضمير في شبه جملة أخرى مع الباء غيرَ ممكنٍ.

24. "قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ" [يونس: 50].

وقد ورد الفعل 'استعجل' أيضاً في الآية (72) من سورة النمل، في (25). ونلاحظ في هذه الآية أن الفعل "تَسْتَعْجِلُونَ" لا يتبعه المفعول به الأول العاقل ولا يسبقه، وكذلك لا يتبعه المفعول به الثاني، وهو الاسم الدال على الحدث، ولا يسبقه. ولذلك يمكن القول إن المفعولين قد حذفا لدلالة السياق عليهما، وذلك لأن المفعول به الأول إما أن يكون الله تعالى أو الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. وأما بالنسبة للمفعول به الثاني، فقد ورد ذكره في الآية السابقة من نفس السورة، في (26)، فالمشركين هنا يستعجلون بالوعد (وهو الوعد بعقابهم)، وهو ما بُدأ الحديث عنه من الآية (67) إلى الآية (70) من نفس السورة، في (27). ولذلك يمكن القول بأن المفعولين قد حذفا لدلالة السياق عليهما، ذلك أن السورة بدأت بالحديث عن قوم موسى وقوم سليمان وقوم صالح وقوم لوط عليهم السلام، وكيف أنهم كذبوا بوعد الله ولكنه أتاهم. ويقول ابن عاشور إن شبه الجملة (متضمّنةً المفعول به الثاني) قد حذفت في هذه الآية لدلالة السياق عليها (ابن عاشور، 1984، المجلد العشرون، ص. 28).

25. "قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ" [النمل: 72].

26. "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" [النمل: 71].

27. "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَ آبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (67) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (68) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (69) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (70)" [النمل: 67-70].

وبذلك فإن الأمثلة الثمانية عشر السابقة للفعل 'استعجل' في القرآن الكريم جميعها تتسق مع القاعدة التي تقول إن المفعول به الأول للفعل 'استعجل' اسم يشير إلى عاقل، وإن المفعول به الثاني اسم يشير إلى حدث مجرور بالباء في شبه جملة (وإن الاسم الذي يشير إلى عاقل وشبه الجملة هما تكملتا الفعل 'استعجل' النحويتان). وطبعاً يمكن أن يحذف أحدهما أو حتى كلاهما إذا كان السياق يدل عليهما.

ولكنْ، إذا ورد المفعول به الثاني، وهو الاسم الذي يدل على الحدث، فإنه يجب أن يكون في شبه الجملة مجروراً بالباء، ولا يمكن أن يَرِد منصوباً بالفعل، والدليل على ذلك هو أنه لم يرد منصوباً بالفعل في القرآن الكريم أبداً. وبتعبير آخر، فإنه عندما يكون المفعول به الثاني ضميراً، فإنه يكون ضميراً متصلاً بالباء، لا بالفعل 'استعجل'. وأما بالنسبة للمثال التاسع عشر لورود الفعل 'استعجل' في القرآن الكريم فهو الآية الأولى من سورة النحل، موضوع هذا البحث.

نعود الآن إلى مفعولي 'استعجل'، ولماذا يجب أن يكون الأول اسماً يشير إلى عاقل والثاني اسماً يشير إلى حدث. ففي المثال المذكور سابقاً، وهو 'استعجل المعلمُ الطالبَ بالقراءةِ' فإن الاسم 'المعلم' هو فاعل 'استعجل'. ولكن 'استعجل' يتخذ مفعولين، يشير الأول منهما إلى عاقل والثاني إلى حدث، وذلك لأن المفعول به العاقل يقوم أيضاً مقامَ فاعلِ الحدثِ المتضمنِ في الاسم أو المصدر المجرور بالباء في شبه الجملة. ففي هذا المثال، فإن المعلم يستعجل الطالب، ولكن الطالب هو مَن سيقوم بفعل القراءة. ولذلك فإن شبه الجملة ستكون في محل نصب المفعول به الثاني للفعل 'استعجل'، ولكن الاسم 'القراءة' هو الحدث (أي الفعل 'قرأ' المتضمَّن في المصدر 'قِراءة') الذي فاعله هو الطالبُ.[1]

[1] لقد سُمي التركيب "بالقراءة" شبه جملة، لا جملة اعتيادية كاملة، لأنه ورغم وجود فعل (متضمن في المصدر، قراءة) ووجود فاعل (وهو الضمير المستتر الذي يعود على الطالب)، إلا أن الفعل لا يمكنه منح إعراب النصب لمفعوله ولا إعراب الرفع لفاعله، لأنه تحول إلى اسم حدث (event nominal)، والدليل على ذلك هو أنه مجرور بالباء.

ولذلك فإن الضمير 'هُ' في "تَسْتَعْجِلُوهُ" في الآية الأولى من سورة النحل لا يمكن إلا أن يشير إلى عاقل (أي إلى فاعل الحدث الذي يستعجل به المشركون)، وهو هنا الله تعالى، رب العزة والجلال، ولا يمكن أن يشير إلى الاسم 'أمر'، ذلك أن مدلول الاسم 'أمر'، وهو 'العذاب' (أي ما يستعجل المشركون اللهَ تعالى به، أي، بأن ينزله بهم) يجب أن يكون متضمَّناً في شبه جملة. فلفظ الجلالة، الله، يعود عليه فاعل الفعل المتضمَّن في الاسم 'العذاب'، وهو ضمير مستتر، أو ما يسمى في النظرية النحوية الحديثة ب "الضم الكبير" PRO (Chomsky & Lasnik, 1977).

وبالإضافة إلى طبيعة التكملات النحوية للفعل 'استعجل'، فإن في الجملة الثالثة من هذه الآية الكريمة، وهي "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"، ما يشير إلى أن الضمير المتصل "هُ" يجب أن يعود إلى لفظ الجلالة، الله، وذلك لأن هذه الجملة تحتوي على الضمير 'هُ' في "سُبْحَانَهُ"، وهذا الضمير يجب أن يعود على اسم أو ضمير في الجملة التي تسبقها مباشرة. وإذا كان الضمير في "سُبْحَانَهُ" يعود بالضرورة على لفظ الجلالة 'الله' (ولا يمكن أن يعود على الاسم 'أمر'، أو على أي اسم آخر، بأي حال من الأحوال)، فإن لفظ الجلالة 'الله' يجب أن يكون هو المقصود من الضمير في الجملة الثانية في الآية الكريمة، وهي جملة الأمر "فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ"، أي "فلا تستعجلوا الله، سبحانهُ وتعالى ...".

3. الخاتمة

تعرضت هذه الدراسة إلى أحد الأدوار المأمول من علوم اللغويات النظرية الحديثة أن تلعبه، وهو المساهمة في تقديم تحليلات جديدة تقود إلى أفهام أكثر تبصراً لآيات القرآن الكريم وتفاسير يمكن أن تقود إلى دراسات في علوم أخرى للنظر فيما في هذا الكتاب العظيم من أسرار ومكنونات وإجابات لأسئلة مطروحة وغير مطروحة في هذه العلوم الأخرى. أما فيما يخص مضمون هذا البحث، فقد اتضح أن الضمير المتصل في "تَسْتَعْجِلُوهُ" في الآية الأولى من سورة النحل يجب أن يعود على لفظ الجلالة، "الله"، فقط، لا على أي من الاسمين السابقين "الله" أو "أمر الله"، كما تقول كتب التفسير، وذلك بالاستناد إلى حقيقة أن الفعل 'استعجل' ينتقي مفعولين، أولهما اسم يشير إلى عاقل والآخر اسم يشير إلى حدث في شبه جملة، مجرور بالباء، حيث يقوم المفعول به العاقل أيضاً مقام الفاعل للحدث المتضمن في الاسم المجرور بالباء، وهو ما يدل على أن الضمير 'هُ' في "تستعجلوه" لابد أن يشير إلى المفعول به العاقل، ولا يمكن أن يشير إلى المفعول به الحدث، ذلك أن المفعول به الحدث يكون دائما مجروراً في شبه

الجملة، وعندما يُذكر يكون متصلاً بالباء لا بالفعل، سواءٌ أجاء بعد الفعل، كما في الآية (24) من سورة الأحقاف، أم قبله، كما في الآية (51) من سورة يونس.

المراجع العربية

- الألوسي، محمود شكري الألوسي البغدادي شهاب الدين. 1934. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب. 2001. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. 1989. تفسير البغوي: معالم التنزيل. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي. 2004. تفسير الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل. الطبعة الأولى. تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الرازي، محمد فخر الدين. 1981. تفسير الفخر الرازي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. 2002. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد. 1993. تفسير السمرقندي. الطبعة الأولى. تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوتي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. 2005. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. 1994. تفسير الطبري. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. 1984. تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.
- ابن عادل، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي. 1998. اللباب في علوم الكتاب. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. 1999. تفسير القرآن العظيم. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. 2006. الجامع لأحكام القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد. 1996. غرائب القرآن ورغائب الفرقان. الطبعة الأولى. تحقيق: زكريا عميرات. بيروت: دار الكتب العلمية.
- طنطاوي، محمد السيد. 1984. التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: مطبعة السعادة.

المراجع الإنجليزية

- Chomsky, Noam. 1981. *Lectures on Government and Binding*. Dordrecht: Foris.
- Chomsky, Noam, & Howard Lasnik. 1977. Filters and Control. *Linguistic Inquiry*, 8(3): 425–504.
- Fassi Fehri, Abdelkader. 2009. *A lexicon of linguistic terms*. Beirut: Dar al-Kitab al-Jadid Company.
- Ouhalla, Jamal. 1999. *Introducing Transformational Grammar from Principles and Parameters to Minimalism*. Arnold: Oxford University Press, 2nd ed.
- Shlonsky, Ur. 2003. The form of Semitic noun phrases. *Lingua*, 114(12): 1465–1526.